عالم الأرصاد الجوية في ظلال القرآن الكريم والسنة النبوية

د/ محمود عبد الرحمن عبد العليم
خصائي علاقات عامه وإعلام أول

إن الشريعة الإسلامية شريعة متوازنة متكاملة، جاءت لتنظم شؤون الدنيا والآخرة وتُعنى بحياة الفرد والمجتمع، ولذلك قال الله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) «الأنعام، ٣٨». واهتمام الشريعة الإسلامية بالإنسان وحياته ووجوده ينطلق من نظرتها الشاملة المتكاملة إليه، فالإنسان في نظرها مخلوق من مخلوقات الكون، وجزء من أجزائه، وكائن ذو أبعاد ثلاثة، أي أنه في مجموعه يتكون من جسد وعقل وروح. ولهذا جاءت تعاليمها وتشريعاتها موجهة إلى هذا الإنسان في أبعاده كلها، ولم تهتم ببعد دون آخر، أو فضلت بعداً على آخر، لأنها تسعى إلى بناء الإنسان بناء شاملاً ومتكاملاً في جسده وعقله وروحه، من أجل إيجاد شخصية متوازنة تؤدي مهمتها المنوطة بها في هذا الكون. ولقد أولت الشريعة الإسلامية في بنائها للإنسان عناية فائقة لصحته وسلامته وعافيته، واعتبرت ذلك مقصداً من مقاصدها الكلية.

ومن هذا المنطلق حظيت الظواهر الجوية المختلفة باهتمام بالغ في الشريعة الإسلامية السمحة سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة؛ فقد ذُكر عدد من الظواهر الجوية كالرياح والمطر والرعد والبرق والصواعق والعواصف والكسوف والخسوف والحر والبرد وغيرها في آيات القرآن الكريم وكذلك في أحاديث نبينا ورسولنا الأمين محمد صلى الله عليه وسلم؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عالم الأرصاد الجوية بما يشمله من ظواهر متعددة يشكل اهتمامًا منقطع النظير في الشريعة الإسلامية؛ وذلك لأنه يتعلق بحياة الناس وصحتهم ويرتبط ارتباطًا أساسيًا بمصالحهم وأعمالهم؛ ومن ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة تنظيم حياة الناس ومعاشهم وما يصلح أحوالهم وتستقر به شؤونهم، كما أن هذه الظواهر من المعجزات الدالة على قدرة الله عز وجل؛ والتي تثبت أن الله تبارك وتعالى هو الخالق لهذا الكون بكل ما فيه، وهو المتصرف سبحانه في كل صغيرة وكبيرة؛ فلا شيء يحدث في هذا الكون إلا بإرادة الله عز وجل؛ وفقًا لقدرته وله الحكمة البالغة في ذلك؛ مصداقًا لقول الله تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر: ٤٩. ونعرض فيما يلي إحدى أهم الظواهر في عالم الأرصاد الجوية والتي ورد ذكرها بكثرة في الشريعة الإسلامية ألا وهي الرياح.

الرياح وأقسامها ومسمياتها في الشريعة الإسلامية

الرياح آية من آيات الخالق عز وجل، مصداقًا لقوله تعالى في سورة غافر (آية: ٨١): {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}، وكذلك قوله تعالى في سورة الروم (آية: ٤٦): {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ}. وللرياح منافع وفوائد عظيمة منها ما ذكره الحق تبارك وتعالى في بعض آياته مثل ما ورد في سورة الفرقان (آية: ٤٨): {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}، وكذلك في سورة [الحجر: ٢٢]: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}.

وكذلك عن بن عباس رضي الله عنهما لما وصف جود النبي صلى الله عليه وسلم استعار الرياح المرسلة في وصفه فقال رضي الله عنه (فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) "متفق عليه"؛ وما هذا الوصف من بن عباس رضي الله عنهما

إلا لأن الريح ينتج عنها خير عظيم للأرض ومن عليها.

وفي بعض الأحوال تكون الرياح نقمة وعذابًا وهلاكًا، مثلما حدث لقوم عاد، يقول الله تعالى في سورة الذاريات (الآيات: ٤١ - ٤٢): {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}.

ورأينا قبل سنوات قلائل ما فعلت الريح بأمر الله تعالى في تسونامي وكاترينا حين حركت البحر فأخرجت أمواجه العاتية أمثال الجبال لتضرب مدنًا ساحلية فتغرقها، وتطمر جزرًا كاملة، وتهلك بشرًا كثيرًا، وتتلف مالًا كبيرًا، وتخلف خرابًا عظيمًا.

وقد ذكر الحق تبارك وتعالى في أكثر من موضع من القرآن الكريم كلمة (الرياح) سواء بلفظها الصريح مثل قوله تعالى في سورة الجاثية (آية: ٥): {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، وكذلك في سورة النمل (آية: ٦٣): {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، أو بألفاظ أخرى دالة عليها كقوله تعالى في سورة الذاريات (أية: ١): { وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا}، فالذاريات تعني الرياح.

كما أن للرياح أسماء عدة ومسميات مختلفة ذكرت في القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

١- الذاريات: وهي التي تذرو التراب والماء ذروًا، أي تثيره وتحركه ليتناثر منهما الغبار والرذاذ ثم تقلهما ريح أخرى، مثلما ذكرت في قوله تعالى في سورة الذاريات.

٢- الحاملات: وهي التي تحمل السحب الثقيلة وترتفع بها إلى الفضاء بعد أن تثيرها الذاريات مصداقا لقوله تعالى: {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا}، أي ثقلا عظيما من المياه.

٣- المبشرات: وهي التي ينشرها الله تعالى بعد انطوائها لتبشر بنزول المطر، وهي التي تهب بلين ورطوبة قبل نزوله، ودليلها قوله تعالى في سورة الأعراف (آية: ٥٧): {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ}.

٤- اللواقح: وهي التي تلقح السحاب ليمتلئ بالماء كما تلقح الزروع لتعطي الحبوب، مثلما جاء في قوله تعالى في سورة الحجر (آية: ٢٢): {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}.

٥- الصرصر: وهي ذات قوة عظيمة،وباردة تحرق ببردها كإحراق النار: مأخوذ من الصرّ وهو البرد وقيل: إنها الشديدة الصوت. وقال مجاهد: الشديدة السموم، وهي التي أهلك الله بها بعض الأمم كقوم عاد، كما في قوله تعالى في سورة الحاقة (آية: ٦): {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}.

٦- الريح الحاصب: وهي التي تقوم بعملية الرجم بالحصباء، كقوله تعالى في سورة الإسراء (آية: ٦٨): {أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا}.

٧- الريح القاصف: يقول الله تعالى في سورة الإسراء أيضًا (آية: ٦٩) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾؛ يعني: في البحر ﴿تَارَةً﴾ مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ قال ابن عباس: أي: عاصفًا وهي الريح الشديدة، وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء؛ أي: تدقه وتحطمه، وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر؛ أي: تكسره.

٨- الإعصار: كما في قول الله تعالى في سورة البقرة (آية: ٢٦٦)﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. قال الحسن: إعصار فيه نار ريح فيها برد شديد. وقال الزجاج: الإعصار في اللغة الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود،وهي ريح تثير الغبار وترتفع إلى السماء كأنها عمود.وقيل: الإعصار ريح تثير سحابًا ذا رعد وبرق.وقال المهدوي: قيل لها إعصار لأنها تلتف كالثوب إذا عصر.وكذلك قال السدي: الإعصار الريح والنار السموم.وقال ابن عباس: ريح فيها سموم شديدة. وقال ابن عطية: ويكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد.

والرياح جند من جنود الله عز وجل؛وهي آية واحدة من آيات الله تعالى، وجندي واحد من جنود لا تحصى يقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٧]، ويقول تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١]؛ فيسخرها الله تعالى لمن يشاء من عباده؛ فقد سخرها الله جل وعلا لبعض رسله - عليهم السلام - كنبي الله سليمان - عليه السلام: قال تعالى: { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} [الأنبياء: ٨١]. وقال الله تعالى في آية أخرى﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦].

ونصر الله تعالى بالريح هودًا عليه السلام، وأهلك بها عادًا لما كذّبوا؛ قال تعالى﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [فصّلت:١٦] وكان من شدة هذه الريح أنها ترفع الواحد منهم في السماء، ثم تلقيه صريعًا على الأرض حتى يُفصل رأسه عن جسده كما قال الله تعالى في وصف فعلها بهم ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠] نسأل الله تعالى العافية من سخطه ونقمته.

لقد فرحت عاد بها في بادئ الأمر يظنون أنها من المبشرات فإذا هي من المهلكات، وانقلب فرحهم بها إلى حزن وعذاب، فأخذتهم وصرعتهم، ودمرت حضارتهم، وأبادت حقولهم ومزارعهم؛ قال تعالى﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

وحاقت بهم أيامًا حسومًا، لا يستطيعون لها دفعًا، ولا يجدون لهم منها مهربًا، وما عجزت الريح عنهم في مساكنهم فأخرجتهم منها، وألقتهم صرعى، فما أقواها من ريح! وما أشدها على المكذبين! وما أطوعها لرب العالمين! قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: الآيتان: ٦، ٧].

ونُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالريح في أعسر موقف أحاط بالمسلمين، لما حاصرت جموع المشركين المدينة في غزوة الأحزاب، ففرقت الريح جموعهم، وفكت تحالفهم، وصدعت أحزابهم يقول الله تبارك وتعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩] قال مجاهد رحمه الله تعالى: (سلط الله تعالى عليهم الريح فكفأت قدورهم، ونزعت خيامهم حتى فرقتهموأهلكتهم).

وهي ريح الصبا، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: (قال نُصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور)متفق عليه. والصبا مهبها شرقي، والدبور مهبها غربي.

والريح خلق من خلق الله تعالى، سخرها لمنافع عباده ومصالحهم، تكون رحمة وتكون عذابًا، وما أُنزل بها على البشر من رحمات أرحم الراحمين أكثر مما أخذت من المكذبين، وهذا من إعذار الله تعالى للبشر،وإملائه لهم، ورحمته بهم، يقول الله تبارك وتعالى في سورة يونس (آية: ٢٢) ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

والمعنى كما ورد في التفسير: أن الله هو الذي يُسَيِّركم - أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فبينما هم في فرحهم جاءتهم ريح عاصف أي شديدة قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعوا الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لئن أنقذتنا من هذه المحنة المهلكة لنكونن من الشاكرين لك، المطيعين لأمرك، المتبعين لشرعك؛ على ما أنعمت به علينا وأنجيتنا من هذا

الهلاك المحقق.

والمشروع لنا عند هبوب الريح أن نحذر ونخاف العذاب؛ فقد عذب أقوام بها في القديم والحديث، وما الأعاصير التي وقعت في الشرق والغرب فأهلكت بشرًا كثيرًا إلا من عذاب الله تعالى بها، وقدر روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته، فقال: إني خشيت أن يكون عذابًا سُلط على أمتي) وفي رواية (فقال: يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا) رواه مسلم.

ولما كانت الريح من أمر الله تعالى، وقد يتضرر بها بعض الناس، بفساد زروعهم وثمارهم، أو نفوق أنعامهم وتلف أموالهم، أو خراب مدنهم وعمرانهم كما في العواصف والأعاصير الشديدة فإنه لا يحل لأحد سبها؛ فمسبتها مسبة لله تعالى؛ لأنه خالقها وآمرها ومدبرها جل في علاه، بل ينبغي للمسلم عند هبوبها أن يلحظ قدرة الله تعالى فيها، ويلتزم بما ورد في السنة. روى أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به) رواه الترمذي بسند صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أخذت الناسَ ريحٌ بطريق مكة وعمر بن الخطاب حاجٌ فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئًا، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك، فاستحثثت راحلتي حتى أدركته فقلت: يا أمير المؤمنين، أُخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الريح من رَوْح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا به من شرها) رواه أحمد.فقوله صلى الله عليه وسلم" من روح الله"أي: من رحمته بعباده، وقوله" تأتي بالرحمة": أي بالغيث،والراحة، النسيم العليل المفيد للأبدان والقلوب.وقوله"وتأتي بالعذاب": أي تأتي أحيانًا أخرى بهلاك الناس وإتلاف النبات والشجر، وهلاك الماشية وهدم البناء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رجلًا نازعته الريح رداءه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلعنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنها فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) رواه أبو داود.

وختامًا علينا أن نتذكر دومًا عند هبوب الريح ما رُوي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» [صحيح مسلم].

وإلى لقاء آخر مع ظاهرة أخرى من عالم الأرصاد الجوية في الشريعة الإسلامية في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

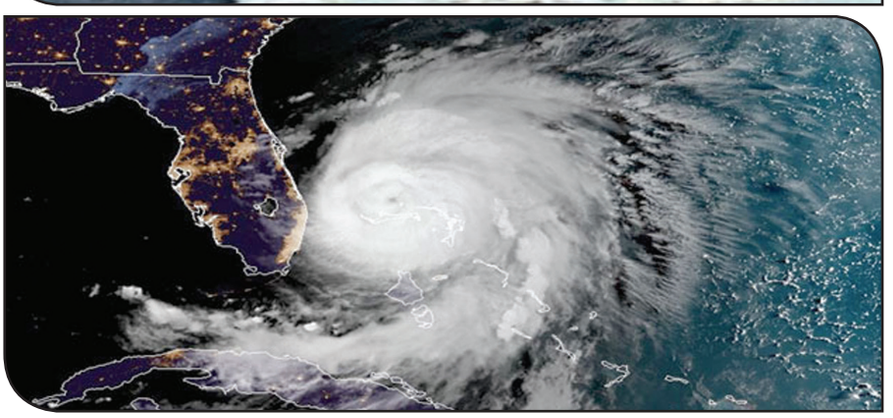

مصادر المقال

القرآن الكريم
السنة المطهرة: صحيح البخاري - صحيح مسلم - سنن أبي داود - مسند الإمام أحمد - سنن الترمذي.
تفسير البغوي "معالم التنزيل" - المختصر في التفسير - التفسير الوسيط - تفسير القرطبي.
كتاب (الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم) لمؤلفه عطية محمد عطية.